

ستجده في انتظارك، إذا كنت تبحث عن صديق، ليس مهماً أن تتحدث إليه في السياسة لأنه ربما يكون بينكما خلاف، ولا في الصحافة لأن أحوالها كما تري! ستشعر وأنت معه أنك مع أحد الأقارب القليلين الذين تحبهم، والذي يوجد بينك وبينه كلام، ابتسامته عنوان قلبه، وعندما يعلو صوت ضحكته، ستعرف أنها تلقائية، وكان في حاجة إليها، متقف لدرجة التخمة، بسيط، دافئ.. يكفي أن يطمئن إلي محبتك له، ليحكى لك: أنت غريب، وهو قديم، قابل أمثالك في طريقه الطويل، سينحاز لك إذا كنت موهوباً، ولن يغلق ابتسامته في وجهك إذا كنت غير ذلك.. يتميز عن الكثيرين «من أبناء جيله» في انه لم يلبس عباءة «الحكيم»، ستجده يبحث عن الشعر في أكوام القش، وعن البشر في الزحام، سامي خشبة «الذي اختاره الله إلي جواره الأسبوع الماضي»، ليس أستاذاً فقط ولا صديقاً فقط، إنما هو شخص مهم في حياتي، لم تنجح الخلافات المتعلقة بالعمل العام بيننا أن تفسد ما بيننا، تعرفت إليه في مكتب الراحل الكبير الدكتور عبد القادر القط في منتصف الثمانينات، كنت - وجيلي كله - في انتظار اعتراف، ومن ساعتها.. عملت معه سنوات «في الأهرام والثقافة الجديدة»، ولم أجد غير شخص محب للناس، مؤمن بأهمية الأدب في الحياة، مخلص لأصدقائه، لا يغتاب أحداً، غزير المعرفة، يوجد شيء بداخله يعوق سعادته ويجعله ساهما فترات طويلة.. رحل فجأة بدون مقدمات لينزل علي رأسي - فجأة - حزن ثقيل ليس وقته! فقدت أيضاً الأسبوع الماضي شخصاً - متعه الله بالصحة - اعتبره صديقاً وأستاذاً ونموذجاً فريداً، هو الفنان جورج البهجوري.. الذي قرر - بعد إشارة فاروق حسني ببدء التطبيع - السفر إلي تل أبيب، وسافر إليها، واحتفت به الصحافة العبرية، وفي لقاء بمنطقة حولون - كما أشارت أخبار الأدب - دعا «كيشكا» «الإسرائيلي» إلي المنصة «عدوه العزيز» جورج البهجوري الذي أعلن أنه لا يؤمن بالحدود، وقال إنه في الرسوم الكاريكاتيرية التي أرسماها في بيتي، انتقدت حكومتكم أكثر من مرة بشكل قاس، كما انتقد حكومتنا.. شوف الخيبة!

في الأسبوع الماضي أيضاً فقدت مصر الدكتور رؤوف عباس، النموذج الذي كان وجوده ضرورياً للتاريخ، واحترام النفس، أستاذ الجامعة كما ينبغي أن يكون، عدو الفاسدين وديمي الموهبة، صاحب واحدة من أجمل السير الذاتية في الثقافة العربية «مشيناها خطي» التي ستجد فيها شخصاً ينحاز لأشواق أهله، الذين أفني عمره لإزاحة الغبار عن تاريخهم.